الأديب
محمد علي سعيد

المضامين في قصص محمد علي سعيد

مشهور عبد الرحمن الحبّازي

1- مولده وثقافته

ولد الأديب محمد علي سعيد لوالدين مهجّرين من قرية شعب في الأول من شهر أيار سنة 1951م.

أُبعد والده علي سعيد إلى الأردن أكثر من مرة، وفي العام 1960م أُعيد إلى البعنة التي احتفلت به بطلاً وثائراً عائداً إلى تراب وطنه.

أنهى محمد تعليمه الإعدادي في البعنة، والثانوي في كفر ياسيف، ثم حصل على دبلوم في التربية والتعليم من دار المعلمين والمعلمات العرب في حيفا عام 1974م. وفي سنة 1994م حصل في جامعة حيفا على درجة البكالوريوس في اللغة العربية والتربية. وفي العام 1998م حصل على درجة الماجستير في التربية.

وفي العام 2005م تدهورت صحته فخرج إلى التقاعد المبكّر من مهنة التعليم.

2- مكتبته

لمحمد علي سعيد مكتبة كبيرة تضم ستة آلاف كتاب، وتضم كتباً في فروع العلوم المتنوعة وأهمها:

1- علوم اللغة واللسانيات والمعاجم (قديمة وحديثة).
2- علوم التربية ومناهج التدريس.
3- علوم الأدب، والسير، والنقد، والبلاغة، والنحو.
4- جميع المجلات المحلية.

3. وظائفه

عمل محمد علي سعيد في وظائف عديدة أهمها:

1- عمل مُعلِّماً للغة العربية، ومرشداً في الأساليب الحديثة منذ تخرّج في دار المعلمين

والمعلمات العرب في حيفا عام 1974م وحتى 2005م. وعمل محاضراً في الاستكمالات المدرسية مثل: البدائل التعليمية، والمناهج، والوعي القرائي، وفهم المقروء، والتعليم الفعّال، والكتابة الإبداعية.

2- عمل في التحرير الأدبي والكتابة الأدبية في عدد من المجلات الفلسطينية: **مواقف، ومشاوير** ورئيس تحرير مجلة **الشرق**.

3- أسهم في تأسيس عدد من الجمعيات والمؤسسات الأدبية ومنها: **جمعية الشرق، ورابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين العرب** عام 1987م و**النقابة العامة للكتاب العرب** عام 1996م، كما شارك في تأسيس جمعية "مسرح الثقافة والمسرح البلدي" في طمرة وجمعية "مسرح الثقافة" في كفر كنا.

4- كتب مقالات نقدية أدبية في الأدب المحلي الفلسطيني، فأسهم في تفعيل الحركة الأدبية، والثقافة الفلسطينية، وشقَّ نافذة على الأدب العبري من خلال فعالياته في جمعية "أنصار الأدب".

حاز عدة جوائز، وكرّمته عدة مؤسسات؛ ففي عام 2001م حاز جائزة الإبداع في الأدب العربي. وفاز بلقب شخصية عام 2011م الأدبية بين فلسطيني الداخل 1948. وكرّمته مؤسسة "الأسوار"، ومجلتا "الشرق ومواقف"، و "مسرح الثقافة"، وبلدية مدينة طمرة، و "جمعية الأكاديميين" في البعنة، والتفتيش المهني في وزارة المعارف للوسط العربي.

4. مؤلفاته

أَلفَّ محمد علي سعيد عدداً غير قليل من المؤلفات في التربية والتعليم، غير أن ما يهمنا في هذه الدراسة مؤلفاته في مجال الأدب.

توزّع إبداع محمد علي سعيد على ثلاثة ألوان من الأدب، وهي القصة والمسرحية والنقد.

1. **القصة القصيرة، وكتب فيها:**

أ- في انتظار القرار، مجموعة قصصية، ط1، شفا عمرو: إصدار مجلة الشرق، 1984م.

ب- أحمد ومردخاي، مجموعة قصصية، الناصرة: منشورات مجلة مواقف (5)، مؤسسة المواكب، 1997م، وقد ترجمت هذه المجموعة كاملة إلى اللغة الإنجليزية تحت اسم **أب وابن** وصدرت في أمريكا عن بيترلاند عام 2009.

ج- هل أنا آثمة...؟، مجموعة قصصية، كتبها وهو طالب في الصف الثاني عشر، وقد نشر أكثر قصصها في المنابر الأدبية ولكنه لم يصدرها بعد في كتاب.

2- **المسرحية، وكتب فيها:**

أ- هدية أم، 1983م. إصدار خاص.

ب- العلم نور، 1994م. (بالاشتراك)، وهي باللغة المحكية، صدرت عن مسرح الثقافة.

3- **في النقد، وكتب فيه:**

أ- **قراءات في الأدب المحلي**، شفا عمرو: إصدار مجلة الشرق، 1995م. وهو نقد في: الشعر، والقصة، والمسرح.

ب- **الخروج من مرج بن عامر**، عكا: مؤسسة الأسوار، 1997م. وهو في النقد المقارن.

ولسعيد مقالات في الاجتماع، التربية، التعليم واللغة فضلا عن الأدب..

ثانياً- قراءة في قصص محمد علي سعيد

1- التواصل بالتراث في قصص محمد علي سعيد

لجأ محمد علي سعيد إلى التراث الفلسطيني والعربي، فاستخدم كثيراً من عناصره، ومعطياته في مواجهة سياسة الاحتلال الصهيوني بما تمثله من: قمع، وتذويب، ونفي للإنسان الفلسطيني والعربي، وقد استخدم هذا التراث مصدر إلهام للصمود والمقاومة، وتمثّل به مستقبلاً مشرقاً عزيزاً. ففي قصة "**الشيخ مبروك**" استند إلى الحكاية الشعبية الفلسطينية بل والعربية إلى حدّ ما "**دافنينه سوا**"[1] التي تمكّن فيها مجموعة من

[1] انظر: زياد جيوسي، المعاناة: مجلة الشرق، عدد 3 مجلد 41، ص39.

اللصوص من تحويل حمارهم -بعدما مات- إلى ما أسموه "**الشيخ مبروك**"[2] وأقنعوا العامة بأنه صاحب كرامات، واستطاعوا من خلال هذا التزييف تحقيق مآربهم، لكنه أوجد بطلاً قادراً على محاربة الزيف الاجتماعي فصاح بأعلى صوته في لحظة حاسمة: "بأن أُسمي الأشياء بأسمائها، لا كما يريدها الغير[3]، ثم جعل البطل يضع أمل التغيير في الشباب الذي هم عند القاص محمد علي سعيد أمل الشعب الفلسطيني والعرب في تحقيق المستقبل الذي يحلُم به، كما كل فلسطيني وعربي، فقال: "وحثثت الخطى نحو مجموعة الشباب"[4].

وفي هذه القصة تمثل التواصل بالتراث عند محمد علي سعيد في غير استخدام الحكاية الشعبية الفكرة الأساس للقصة، بل ملأ جملها وسطورها بالأمثال، والقولبات العامية، والحوادث التاريخية.

ومن الأمثال التي استخدمها: "**الحمار حمار ولو بين الخيول ربا**"[5] و"**لترمي حجارة في البئر التي شربتَ منها**"[6]، و "**لتحطم الصحن الذي أكلت منه**"[7] وغيرها.

كما استخدم من القولبات العامية: "**حاميها حراميها**"[8]، و"**بلا طول سيرة**"[9] و"**دستور من خاطرك يا شيخ**"[10]، و"**النجوم في الظهر أقرب**"[11] وغيرها. واستخدم بعض الإشارات

---

[2] انظر: محمد علي سعيد، الشيخ مبروك: أحمد ومردخاي، ص16.

[3] محمد علي سعيد، الشيخ مبروك: أحمد ومردخاي، ص23.

[4] المصدر نفسه، ص29.

[5] المصدر نفسه، ص17.

[6] المصدر نفسه، ص18.

[7] المصدر نفسه، ص18.

[8] المصدر نفسه، ص17.

[9] المصدر نفسه، ص18.

[10] المصدر نفسه، ص20، ص27.

[11] المصدر نفسه، ص28.

التاريخية مثل: "**الطعام أمامنا والجوع من ورائنا**"[12]. و "**لو آمن أحدكم بحجر لنفعه**"[13]. واستخدم بعض المعاني الدينية المستمدّة من القرآن الكريم وبخاصة فيما يتعلق بالحياة والموت ليحرّر الناس من الذلّ والهوان، ومن ذلك "**الموت حق لكنه مكروه**"[14]، و "**الموت عدل لأنّه كأس يشرب منه كل الناس**"[15].

فكل هذه العناصر التراثية وغيرها في قصة "الشيخ مبروك" مكّنت القاص محمد علي سعيد من استلهام الحكاية التراثية؛ لبيان الزيف، والوهم الذي يُسيطر على المجتمع الفلسطيني. ومن تسخير هذا التراث؛ ليقول بطل القصة ما أراده الكاتب بفضح هذا الزيف، وكشف حقيقة هذا الوهم، وبثّ الأمل في نفوس الشباب، وعقولهم بالقدرة غير المحدودة على إيجاد المستقبل الذي يرجونه جميعاً وصنعه.

وفي قصة "**التمثال**" وصل بين الماضي والحاضر، وتطلع إلى المستقبل، فقد استند في سرد فكرته إلى أجواء البلاط الملكي (نظام سياسي شائع في التاريخ العربي)، وما فيه من تسلّط الملك وحاشيته على عامة الناس (الراعي على الرعية) فيما الأصل أن يُحافظ الراعي على رعيته، وذلك ليظهر الحلم الذي يسكنه في ضرورة إحداث التغيير بالثورة على هذا النظام، وقد أوقد الثورة بقوله: "**ونسي أن الشعب يغفرُ، لكنّه لا ينسى، ويمهلُ لكنه لا يُهمل**"[16]، ثم جعل الثورة تندلع في وجه الملك عندما أدار الحوار التالي بين الملك والمواطن (العبد) صانع الأحذية، قال: "انظر إلى تحت لا إلى فوق... مفهوم أيها الكلب... حَمْلَقَ المواطن في وجه ملكه، وتأمّلَهُ مَلِيًا، ولأول مرَّة في حياته رآه جيداً... فجمعَ المواطنُ ريقَهُ، وبدلَ أَنْ يبلَعَهُ قَذَفَهُ في وَجْهِ الملكِ، وأحسَّ براحةٍ نفسيّةٍ لا مثيل لها..."[17].

---

[12] المصدر نفسه، ص9.

[13] المصدر نفسه، ص21.

[14] المصدر نفسه، ص11.

[15] المصدر نفسه، ص19.

[16] محمد علي سعيد، التمثال: أحمد ومردخاي، ص38.

[17] المصدر نفسه، ص39.

وفي قصة "**حياة**" استلهم القاص فكرة القصة كلها من قصة سيّدنا يوسف، عليه السلام، فقد جعل بطل القصة علي المحمود يترّفع عن رؤية حياة رؤية شهوانية في لحظة بحثه عن الخلاص من الذين يطاردونه، فَمُنحَ حياة جديدة، كما ترفّع يوسف، عليه السلام، عن عرض امرأة عزيز مصر، فَمُنِحَ حياة جديدة.

ووظف محمد علي سعيد عدداً من الأمثال الشعبية الفلسطينية في قصصه، ومنها قوله: "**الخالق الناطق**"[18] و"**يمهل لكنه لا يهمل**"[19]، و"**الغاية تبرر الوسيلة**"[20] و"**كلُّ سرّ جاوز الاثنين شاع**"[21]. و "**البرد القارس الذي يقصُّ المسمار**"[22]. وذلك لزيادة التصاق القارئ بالواقع الذي يكتب عنه محمد علي سعيد.

وقد أظهر محمد علي سعيد في غالبية قصصه اعتماداً كبيراً على التراث الشعبي الفلسطيني فتواصل معه، واستخدمه دعامة للأفكار التي أراد عرضها على القرّاء، وبلغ تعلّقه بالتراث ذروته في قصة "**الشيخ مبروك**" عندما قال: "أردت أن أستفسر من أَخي، فخفتُ من اتهامي بالجهل تجاه تراثنا"[23].

وفي قصة "**الشارع**" عندما تساءل عن علاقة الجدة وأمهات الحاضر بالتراث والقصص الشعبي والحكايات، فقال: "لأنَّ الجدّة في هذه الأيام لا تعرف الكثير من قصص تراثنا الشعبي لتُسلِّي به الصغار كما كانت العادة... فكيف ستكون الحال عندما تُصبحُ صبايا هذا الجيل أُمهات وجدّات؟؟؟"[24].

---

[18] المصدر نفسه، ص36.

[19] المصدر نفسه، ص38.

[20] محمد علي سعيد، حكاية الجيران: أحمد ومردخاي، ص44.

[21] محمد علي سعيد، فنجان شاي: أحمد ومردخاي، ص84.

[22] محمد علي سعيد، حياة: أحمد ومردخاي، ص98-99.

[23] محمد علي سعيد، الشيخ مبروك: أحمد ومردخاي، ص11.

[24] محمد علي سعيد، الشارع: في انتظار القرار، ص19.

وتبيّن من خلال كيفية توظيف القاص محمد علي سعيد العناصر التراثية المختلفة في قصصه أنه لجأ إلى التراث، ووظّفه في قصصه بطريقة جعلت نصّه الأدبي جزءاً من التراث الأدبي العربي، ومن الصعب فصل أحدهما عن الآخر، كما أن النصوص والأفكار التراثية التي وظّفها في قصصه اكتسبت دلالات معنوية جديدة مع احتفاظها بالدلالات المعنوية القديمة.

2- **البطل في قصص محمد علي سعيد**

لم يُكلِّف القاص محمد علي سعيد نفسه عناءَ البحث عن أبطال قصصه، أو ابتداعهم، أو تفصيلهم وفق رؤية معينة. فالبطل عنده هو: الإنسان الفلسطيني البسيط، والكادح الملتصق بأَرضه، والمُضحي بنفسه من أَجلها. وهو: المثقف الداعي للإصلاح، والناقد لأَخطاء الناس، والقادر على فهم ذاته، ومحاسبتها إن لزم الأمر. وهو في الحالتين مناضل عنيد في جبهتين لا تفترقان هما: تأمين لقمة العيش في واقع اجتماعي، وسياسي، واقتصادي ظالم لا يرحم. والمواجهة مع جنود الاحتلال الصهيوني الذين يعملون على صهره، أو نفيه من وطنه وفي وطنه، فيما هو يتحداهم بماضيه وحاضره، ويأمل في مستقبل يبني فيه دولته، ويحافظ على سيرورة شعبه، وهويته المستقلة.

وقد جاء البطل في قصص محمد علي سعيد على ثلاثة أوجه هي:

أ- **الراوي**: وهو في قصص محمد علي سعيد شخصية مركزية، وإيجابية، وواعظة، وناقدة. وقد استمدّ القاص هذه السمات من شخصيّته هو نفسه، حتى ليمكن القول إن الراوي في أغلب القصص كان هو نفسه القاص محمد علي سعيد.

ب- **البطل المُبْتَدع من التراث (الحكاية التراثية) أو من الفكر والخيال، ففي "الشيخ مبروك"** جعل للبطل مدلولين هما: الحمار الذي سمّى القصة باسمه التراثي ذي الدلالة الدينية الاستسلامية "الشيخ مبروك"، والذي يدلُّ على سيطرة بعض الأفكار السلبية على عامة الناس، وقُدرة بعض المشعوذين واللامتدينين على استغلال بساطتهم لتحقيق مآرب جهنمية.

والراوي -وهو الكاتب نفسه- الذي لم يصبر على استمرار الزيف، وسطوته؛ فصاح بأنه سيسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية، وتوجه إلى الشباب الذين هم أمل التغيير، والانطلاق نحو المستقبل المنشود[25].

وفي قصة "**الشارع**" جعل البطل شيئاً غير معهود، وغير متوقع في المجتمع الذي يتحرّك فيه كل أبطال سعيد، إنه "الشارع" نفسه الذي يسير عليه غالبية الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة 1948م (وحتى في الضفة الغربية بما فيها القدس، وقطاع غزة) داخل قراهم وتجمعاتهم السكنية، وما يزال يسير عليه فلسطينيو المخيمات، وكثير من القرى، وحتى في بعض المدن.

لقد منح "الشارع" نفس الصفات - تقريباً- التي منحها لبطله الراوي، فهو مليء بالكبرياء، وعزّة النّفس. وهو متمرّد يرفض الخضوع لكائنٍ مَنْ كان، حتى إنّه وعلى الرّغم من كونه (مقهوراً سياسياً) إلاّ أنه يَرفضُ أن تُهان كرامته. وهو متمرّد على بني البشر الذين يعتبرونه، مُسْتَعْصيًا على الترويض، وهو يهزأُ من سُبابهم بعضهم لبعض، وله. ويُصرُّ على أنه هو سبب وجود الحارة.

" نُمطرُ بعضنا البعض تهماً مذيّلة بالشتائم، والإهانات، وحتى لا يعتب أَحدٌ علينا نمطرُ شارعنا سبّاً، ولعنةً... فيضحكُ الشارع ويقهقه حتى يقلبُ على قفاه غير مهتم بطول ألسنتنا، ولا بقاموس شتائمنا الذي نحارب به العالم بأسره.

... يرفض أنْ نَمُرَّ به مرور الكرام... يرفض مثل هذا السلوك، ويعتبره إهانة يستحقُّ فاعلها العقاب... الشارع هو السبب "[26].

ج-**البطل المُبْتَدع من الفكر السياسي**، إنه الكاتب نفسه، المثقف ثقافة اجتماعية، وسياسية، واقتصادية من وجهة نظر واحدة، من وجهة نظر وطنية- ولو لفترة زمنية محدودة- حيث جعل الفتاة الواعية تتقدم لتحطيم ما اعتبره قيوداً سلبتها حُرّيتها في

[25] انظر: محمد علي سعيد، الشيخ مبروك: أحمد ومردخاي، ص23، 28-29.

[26] انظر: محمد علي سعيد، الشارع: في انتظار القرار، ص11-12.

ثلاث قصص متتالية هي: "**أنا ومدينتي والاتجاهات**"، و"**جناح النسر الأيمن**"، و"**شيء من الماضي**". وأظهر فكره بوضوح عندما قال: "لكي تحطم قوقعة التقاليد والعادات"[27] وقال: "من أجل أُختكَ سميحة تنادي بالرجعية"[28]. وقال: "ألا تحبُ أن تكونَ طلائعياً في ميدان العمل على تقدّم المجتمع، وتحرير الفتاة، التي هي بداية التقدّم"[29].

وفي قصة "**أنا ومدينتي والاتجاهات**" انتقد بشدّة عدم رضا المجتمع بلقاء الفتاة والشاب حتى وإنْ كان غير آثم. وجعله وكأنه المنكر "يتحاشى الجميع الكلام معي، وكأنّي أتيتُ منكراً"[30]. وجعل الفتاة تدافع عمّا يسمونه المنكر وتقول: "حاولتُ أن أدافع عن هذا المنكر... أنْ أُقنعهم بعدالته، وضرورته، وقدسيته"[31]. وانتقد طريقة الزواج التقليدية عندما رتّب أهل الفتاة زوجاً بديلاً هو الأستاذ: "ما وضح لي أن هذا الأستاذ هو السبب... هو البديل الذي اختاره الأهل"[32] كما حارب الشائعات وسرعة انتشارها في المجتمع قال على لسان الفتاة: "واتسع محور قصتي... مشكلتي... مصيبتي... ليشمل جميع القرى المجاورة".[33].

وفي قصة "**جناح النسر الأيمن**" حارب زواج البدل، وبيّن تناقض بعض الشباب الذين يدّعون التقدّمية، وصرخ بأعلى صوته بضرورة أن تتوقف سطوة العادات، وتناقض الشباب[34]، قال على لسان الفتاة: "أتوسّلُ إليك بكل قلبي ومشاعري ألاّ تجعل شرط

---

[27] محمد علي سعيد، جناح النسر الأيمن: في انتظار القرار، ص70.

[28] المصدر نفسه، ص70-71.

[29] المصدر نفسه، ص72.

[30] محمد علي سعيد، أنا ومدينتي والاتجاهات: في انتظار القرار، ص55.

[31] المصدر نفسه، ص55.

[32] المصدر نفسه، ص57-58.

[33] المصدر نفسه، ص60.

[34] انظر: محمد علي سعيد، جناح النسر الأيمن: في انتظار القرار، ص70-72.

زواجك زواجي من مصطفى... تزوّج أنت سهام، وليتزوج مصطفى مِنْ فتاة تحبه... وأنا لأتزوج بِمَنْ أُحب"[35].

وفي قصة "**شيء من الماضي**" حارب طريقة التربية القديمة التقليدية حيث جعل الأب يقعُ في الإثم عندما عمل في المدينة، فيما جعل الابن الواعي وعياً وطنيًا لا يقع فيه. قال على لسان الابن المحب: "وخاف رياض من تطور علاقتهما... فقرّر أن يضع لها حدّاً بأن يتزوجا"[36] فيما جعل الأب ذو التربية التقليدية يقول: "إنه ذنبي... غلط الشباب، وضياعه وعدم مسؤوليته"[37] إنه يرسم صورة سيئة للتربية التقليدية، وصورة جميلة للتربية الشيوعية.

وبالإجمال فإن البطل في قصص محمد علي سعيد يتصف بالآتي:

- مختار من الناس الذين يعيش بينهم.
- مؤمن بعدالة قضية مجتمعه، ويثق بالنصر ثقة لا تتزعزع.
- مناضل بسيط من أجل تأمين استمرار عيشه، وأسرته حياة كريمة، ومن أجل حفظ ذاته من: الانصهار، والنفي، والتهميش.
- مثقف يدعو للإصلاح والتغيير نحو الأفضل وهو إلى حدّ كبير، معلّم، ومرشد للمجتمع إلى أهدافه الوطنية والاجتماعية التي لا يحيد عنها.

د- استشراف المستقبل في قصص محمد علي سعيد

ظهر في عدد من قصصه، استشراف لعدد من الأحداث قبل وقوعها بوقت طويل، وقد نجم ذلك في رأيي عن تفكيره الدائم في ضرورة إحداث تغيير في الوضع الفلسطيني والعربي، وأهم القضايا التي استشرفها سعيد في قصصهِ، هي:

---

[35] المصدر نفسه، ص71.

[36] محمد علي سعيد، شيء من الماضي: في انتظار القرار، ص79.

[37] المصدر نفسه، ص82.

أ- الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987-1993)

كتب محمد علي سعيد قصته "**حكاية الجيران**" سنة 1984م، وتحدّث فيها عن ضياع فلسطين، واحتلال اليهود لها، وموقف العرب من ضياع فلسطين الذي لم يتجاوز عقد الاجتماعات التي كانوا يعترفون فيها بعجزهم عن مواجهة المحتل الصهيوني، لكنهم كانوا يكتبون محاضر جلسات غير مفيدة. وفي النهاية اتخذوا قراراً بمواجهة جماعية معه لم تفد شيئاً في تغيير وضع الاحتلال لفلسطين؛ إذ لم تتجاوز مواجهتهم له وصفهم الاحتلال بصفات هي فيه، فلم يُعِرْها أي اهتمام. وبينما هم في حالهم صامدون إذْ اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، انتفاضة أطفال الحجارة التي لم يُحسن حتى الفلسطينيين الإفادة منها كما ظهر فيما بعد.

قال: "وفجأة سمع الجميع – أيها السادة الكرام- صوتاً ضخماً تكتنفه الرهبة، فحاولنا جميعاً تحديد مصدر الصوت، صمتنا، نظرنا بإمعان، أُصبنا جميعاً بالذهول، واتّسعت محاجر العيون حين رأينا حجارة الطريق تهتزُّ في أماكنها، عرفنا –وهذا على ذمّة الراوي- بأَنَّ الصوت يَخرج من بين حجارة الطريق، ومن حصاها، ومن ترابها... صمت الصوت، وازدادت الحجارة عنفاً واهتزازاً ويقال: إنّها انتفضت... طارت وضربت بيت جارنا، وأَشجاره، ومزروعاته، وخضاره"[38].

وفي هذا النص إشارة واضحة للانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) التي لم يتوقعها أحد حتى الذين شاركوا فيها بأن تكون بهذه الصورة أو بهذا الزخم، لكنّ كاتبنا بحاسته السادسة، وحسن قراءته للواقع الفلسطيني تحت الاحتلال، استطاع أن يقدم ملامح من هذه الانتفاضة.

ب- إعلان وثيقة استقلال فلسطين في الجزائر العاصمة عام 1988م.

في قصة "**الولادة**" التي كتبها محمد علي سعيد في الشهر الأول من الانتفاضة الأولى روى

[38] محمد علي سعيد، حكاية الجيران: أحمد ومردخاي، ص47-48.

قصة مناضل ومناضلة أسهما صدفة في فعاليات الانتفاضة، وروى تفاصيل دقيقة عن تلك الفعاليات -وكأنّه واحد من قادة الانتفاضة الميدانيين- والنجاح الذي حقَّقَهُ الاثنان، قادهما إلى الزّواج الشرعي، لكن الاحتلال اعتقل المناضل العريس قبل أن يكمل الأسبوع، فبقيت عروسه تقود فعاليات الانتفاضة إلى أن وضعت مولودتها البكر فسمَّتها "فلسطين"، التي أُعلنت وثيقة استقلالها في قصر الصنوبر بالجزائر العاصمة في الخامس عشر من تشرين الثاني 1988م.

قال: "ماذا نسميها؟! سمع الأب ما يردّده الحضور، التفت نحوهم، ارتسمت ابتسامة، وغمرت ملامح وجهه، وبصوت هادئ واثق، ومؤثّر قال: "نُسمّيها فلسطين"... دمعت عينا الأم، وزغردت الجدّة، واختفى الأب"[39].

هنا يمكن اعتبار الولادة، وتسمية المولودة بهدوء، وثقة، وتأثير، وأثر تلك التسمية على الشعب الفلسطيني بالفرح والزغاريد، يمكن اعتبارها استشرافاً قريباً لإعلان الاستقلال الفلسطيني الذي تم بعد أحد عشر شهراً –تقريباً- من كتابة هذه القصة.

ج- المفاوضات طريق حل الصراع قبل مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو

في نهاية قصة "**حكاية الجيران**" التي كتبها القاص محمد علي سعيد في سنة 1984م،

وتنبأ فيها بحدوث انتفاضة "أطفال الحجارة"، يمكن لمن يُنعم النظر، ويقرأ ما وراء سطورها الأخيرة أن يرى بوضوح بعض ملامح مؤتمر مدريد للسلام الذي عقد العام 1991م،

وتستمر المفاوضات على جميع الأصعدة السياسية، الاقتصادية، الأمنية، الاجتماعية، والثقافية، وفي مناطق مختلفة من العالم، دفعت إسرائيل إلى طلب نقل المفاوضات إلى المنطقة (فيها وفي الدول المحيطة بها)، ووعدتهم بحسن الجوار. قال: "واستمرّت المعركة بين دحر واندفاع... اتركوني لنتفاهم... أَعدُكم بحسن الجوار... والغريب في الأمر – أَيّها السادة

[39] محمد علي سعيد، حكاية الجيران: أحمد ومردخاي، ص55.

الكرام- أنَّ الجيران استردّوا حقهم فقط، وتوقّفوا عندَ حدود أرضه، ولم يتقدّموا شبراً واحداً... ويقالُ إنّهم –فيما بعد- أزالوا الأوتاد والأسلاك فيما بينهم، وتسود علاقات المحبة، والتسامح، والتفاهم، والتعاون بين جميع الجيران"[40].

لقد كانت هذه النبوءة ثمرة حدس الكاتب، وهي تدلُّ على ما يحلم به؛ إذ هو يريد أن يعيش هو كما إسرائيل بأمن وسلام كل في وطنه. (وهنا يمكن اعتبار ذلك نبوءة ثانية، وهي الحديث الذي ما زال يدور منذ سنوات عن دولتين لشعبين لكن حكومة إسرائيل ترفض ذلك عملياً، وتؤيّده نظرياً). لكن النبوءة ليس من الضرورة أن تتحقق بتفاصيل جزئياتها المملّة بل قد يتحقّق بعضها، وهذا ما حصل في نبوءة كاتبنا محمد علي سعيد.

د- الربيع العربي

في قصة "**التمثال**" التي كتبها الأديب محمد علي سعيد عام (1987م)، حلم -كما شخوص قصته، وشعبه- بالتغيير والثورة على أنظمة الحكم العربيّة. وتنبّأ بانتهاء سياسات الخداع، والضحك على الذقون، وامتصاص الغضب – بإصلاحات تجميلية لا تلبث أن تتراجع عنها- التي مارسها هؤلاء الحكام تجاه شعوبهم طوال العقود السابقة.

قال: "ونسي أنّ الشعبَ يغفرُ لكنّه لا ينسى، ويُمهلُ لكنّه لا يُهمل، وبدأ الهمس يعلو... وباختصار فقد الملك المصداقيةَ في أقواله وأعماله، فقد كشفته الكشوف"[41].

لقد جعل القاص محمد علي سعيد الحكّام ينطقون بحقيقة نظرتهم إلى شعوبهم، فهم عبيد، لا يستطيعون بل ليس مسموحًا لهم النظر إلى غير أقدام حكامهم، والسَّهر على راحتهم، فما كانَ من تلك الشعوب التي استعبدت عُقوداً طويلة إلاّ أن تجرّأت مرّةً واحدةً، وحصلت على حرّيتها.

---

[40] محمد علي سعيد، حكاية الجيران: أحمد ومردخاي، ص48-49.

[41] محمد علي سعيد، التمثال: أحمد ومردخاي، ص38.

قال: "لم يُحاول الملك أن يستفسر... نظر إلى المواطن بحقد... انظر إلى تحت لا إلى فوق... إلى تحت... إلى تحت... مفهوم أيُّها الكلب... حملق المواطن في وجه ملكه، وتأمّلهُ ملياً، ولأوّل مرّة في حياته رآه جيداً... فجمع المواطن ريقه، وبدلَ أن يبلعه قذفه في وجه الملك، وأحسَّ براحةٍ نفسيةٍ لا مثيل لها و..."[42].

مما سبق يلاحظ أنّ القاص استطاع أن يستشرف بعض ملامح المستقبل الذي حلم وما يزال يحلم به. وهذا الاستشراف ما كان ليتمكن منه إلاّ من خلال واقعية القاص التي عاشها منذ طفولته وحتى اليوم، هذه الواقعية التي مكّنته من فهم الواقع المعيش بصورة حقيقية، وفي كل المجالات، ثم ربطه بالواقع العالمي، والماضي التراثي؛ فخلص إلى استشراف بعض جوانب المستقبل الذي يحلم به.

4- صورة المجتمع الفلسطيني في قصص محمد علي سعيد

يمكن القول إن حياة الأديب محمد علي سعيد بما فيها من معاناة ثلاثية الأبعاد: الفقر، واللجوء والتشرّد، وعدم الشعور بالأمن والاستقرار، قد انعكست بشكل واضح على قصصه النابعة أساساً من مجتمعه الفلسطيني الذي حمل همومه.

لقد صَوَّرَ محمد علي سعيد معاناة المجتمع الفلسطيني ذي العائلة الممتدة، وفضح تلك المعاناة بصورها العديدة، وأهمها:

أ- الكشف عن الفقر المدقع -كما ظهرت في قصة "**فنجان شاي**"، وفي قصة "**أحمد ومردخاي**" حيث لم يجد أحمد إلاّ العمل في المجال الخدماتي (المطعم).

ب- الكشف عن الزّيف والنفاق الاجتماعي -كما ظهرت في قصة "**الجنازة**"- حيث تحوّل الشيخ المؤذن (صلاح الشناوي) في قصة "**الجنازة**" إلى مؤبن (متعهد حفلات التأبين) فحوّل الميّت النكرة في القرية إلى بطل قومي، ووجيه اجتماعي.

[42] المصدر نفسه، ص38-39.

ج- وصف سيادة أصحاب الجهل والكذب والدجل والإيمان بالغيبيات -كما ظهرت في قصة "**الشيخ مبروك**"- حيث سيطروا على عقول بسطاء الناس، واستولوا على أَرزاقهم.

د- وصف استغلال بعض أرباب العمل الأثرياء –كما ظهرت في قصة "**الوظيفة**"- لواقع الباحثين عن العمل وبخاصة من الفتيات، حيث أصبح ثمن الوظيفة تلبية شهواتهم.

هـ- الكشف عن الانتهازية الوطنية –كما ظهرت في قصة "**المسيرة**" – حيث فضح زيف ما تُقدّمه من كلام جميل، عن الشجاعة والبطولة، للمناضل الذي لم يعد قادراً على مواصلة مسيرته النضالية بهذه الشعارات، فيما هو واصل المسيرة بأقل دعم ممكن متمثلاً بمنقوشة، وحبة بندورة، وزيتون.

و- الكشف عن صمت وجبن الفئة المثقفة -كما ظهرت في قصة "**الجنازة**" -حيث لم يستطع الأستاذ والطالب الجامعي مواجهة الأمور تجنباً للمشاكل.

ز- وصف آفات اجتماعية داخلية لا زالت تنخر البنية الاجتماعية الفلسطينية مثل: زواج البدل في قصة "**جناح النسر الأيمن**"، والشائعات وسرعة انتشارها في قصة "**أنا ومدينتي والاتجاهات**" وعدم احترام حقوق المرأة، ونفاق بعض المثقفين أدعياء التقدّمية، كما في القصتين السّابقتين.

ح- ولعل أساس ما سبق- يكمن في معاناة المجتمع من الاحتلال الصهيوني الذي قهر المجتمع الفلسطيني بكل فئاته من خلال أربع أدوات مهمة هي: الحكم العسكري، وتجنيد الوشاة (العملاء)، والسيطرة على الاقتصاد، وسدّ كثيرًا من مجالات الرزق، والسيطرة على التعليم حيث أظهر الصورة السيئة للتعليم عندما فضح قلة ثقافة المعلمين، وبخاصة معلمي اللغة العربية الذين يتعلمون اللغة العربية باللغة العبرية.

على الرغم من هذا التشخيص لمعاناة المجتمع الفلسطيني، وأوضاعه المتنوعة إلاّ أنّ الأديب محمد علي سعيد لم يقف عند التشخيص والفضح فقط، بل أوجد الدواء الفعّال الذي تمثّل في:

أ- الشباب المثقّف ثقافة تقدّمية، وصاحب الضمير الحيّ كما ظهر في قصة "**الشيخ مبروك**" حيث جعل الابن يُقرّر أن يسمي الأشياء بأسمائها[43]. ثم يقول لأبيه متحدّياً: "أُريد أن يعرفوا الحقيقة"[44]. ثم يتركه ويحثّ الخطى نحو مجموعة الشباب التي كانت تصفق له، وترفع شارات النصر[45].

ب- الشباب المناضل المؤمن بالمبدأ، والوطن، والنخوة، والشّرف مقابل: الخيانة، والوشاية (العمالة) كما ظهر في قصة "**حياة**". والمؤمن بالفكر التقدّمي كما ظهر في قصص "**أنا ومدينتي والاتجاهات**" و"**جناح النسر الأيمن**" و"**أحمد ومردخاي**" وغيرها.

5- **اللغة والأسلوب في قصص محمد علي سعيد**

امتاز أسلوب الأديب محمد علي سعيد في قصصه بعدد من المميزات التي مكّنته من إيصال أفكاره إلى القرّاء بسهولة ومن دون مَلَل، وأهم تلك المميزات هي:

أ- التشويق والسلاسة التي دفعت الملل عن القارئ، وشدّته إلى التفاعل مع المواقف المختلفة في قصصه.

ب- استخدامه أسلوب السّرد المباشر المعتمد على (قال، وقلت)، وأسلوب الرواية والحكاية المباشرة مثل: "أيّها السادة الكرام"، و"نعود إلى موضوعنا"، كما استخدم أسلوب التقرير.

ج- ضمّن قصصه كثيراً من: الأمثال، والأقوال الدارجة، والقولبات والألفاظ العامية (التي تكاد تندثر اليوم). واقتبس المعاني والألفاظ الدينية من القرآن الكريم، والحديث النّبويّ الشريف، وتصرّف بها تصرُّفاً ذكياً متكئاً في ذلك على ثقافته العربية الإسلامية بعامة؛ فبدت وكأنّها من إبداعه، فأسهم ذلك في اقترابه من قُرّائه.

---

[43] محمد علي سعيد، الشيخ مبروك: أحمد ومردخاي، ص23.

[44] المصدر نفسه، ص28.

[45] المصدر نفسه، ص29.

د- استخدم الجمل القصيرة، والعبارات السهلة المألوفة في البيئة الفلسطينية الفلاّحية التي تشدُّ القارئ لقراءتها متأمّلاً إياها.

هـ- استخدم الأسلوب المرسل والمسجع سجعًا غير مؤثر على المعنى بل الذي يزيد موسيقية الألفاظ ووقع جرسها على الأذن، وفي بعض القصص استخدم لغة شاعرية إلى حدّ كبير قال: "آه كم أُحبكِ، إنني أُحبكِ فوق ما يتصوّره البشر... إنّني أُحبكِ... ألا تُصدّقين؟! لقد نسجتُ كلماتي من شعاع القمر، وعلّقتها فوق هامات الشّجر... حفرتها فوق كلّ حجر... إنني أُحبكِ يا أحلى البشر"[46].

و- استخدم ألفاظاً واضحة المعاني تنزع إلى البساطة، وقادرة على التأثير في نفس القارئ، ودمجه في أحداثها، فتدفعه إلى الدهشة حيناً، والفكاهة حيناً آخر، والتأمل والتفكير مع الكاتب أو ضده حيناً ثالثاً، ولكن من دون أن يفقد القارئ احترامه للقاص.

خلاصة:

بناء على ما سبق، يمكن القول بأن قصص محمد علي سعيد تمتاز بالآتي:

1- وضوح الفكرة التي يريد الكاتب أن يوصلها إلى القارئ –غالباً- وكأنه يسعى إلى تعليم القرّاء درساً في الأخلاق والآداب العامة الحميدة، التي يرى أن سيادتها ستؤدي إلى صلاح الفرد والمجتمع. ويظهر ذلك جلياً في قصص "**الشيخ مبروك**"، و"**الجنازة**"، و"**الشارع**"، و"**التمثال**"، و"**جناح النسر الأيمن**"، و"**أنا مدينتي والاتجاهات**"، و"**شيء من الماضي**".

2- استخدم القاص محمد علي سعيد فن القصة وسيلة وأداة تعليمية لنقل ما يؤمن به من فكر في مجالات الحياة المختلفة؛ فقد دعا لمحاربة العادات والتقاليد التي تُشكل شرنقة تعرقل تقدّم المجتمع قال: "لكي تحطم قوقعة التقاليد والعادات... كي تساعد

[46] محمد علي سعيد، السؤال: في انتظار القرار، ص87.

الفتاة من أجل نيل حقوقها"[47]. وقال في قصة "**الشيخ مبروك**" "ولا قيمة لعلم لا يؤدي إلى وعي، وعلى الوعي أن يُغيِّر نحو الأفضل والأجمل... قلت: إلى قرار بأن أُسمي الأشياء بأسمائها لا كما يريدها الغير"[48]. وفي قصة "**الجنازة**" حارب الزيف الاجتماعي عندما قال بوضوح: "سألت عن الشيخ صلاح الشناوي... كيف تم تعيينه عريفاً لحفلات التأبين؟!... خطيباً... كل ما في الأمر أن خطابات التأبين أصبحت عادة مهما كان الميت، ومهما كانت ظروف الموت... والشيخ صلاح الشناوي هو المؤبن الأول..."[49].

3- يمكن اعتبار محمد علي سعيد حكواتياً أو راوياً للقصص التي يكتبها، وهو في استخدامه أسلوب الحكاية يُشعر القارئ بالأنس والألفة. وقد استخدم كثيراً من العبارات التي دأب الحكّاؤون على استخدامها في حكايتهم لقصصهم. يظهر ذلك بوضوح في مثل قوله: "معذرة أيها السادة، نسيت أن أخبركم"[50] وقوله: "وعندها - سيّدي القارئ - نصطدم بأشدّ مضايقات الشتاء"[51] وقوله: "نسيت - أيها السادة الكرام - أن أخبركم..."[52]. وقوله: "وعلى ذمة الراوي أنه لا زال مفتوحاً حتى الآن"[53]. وكثير غيرها.

4- كان القاص محمد علي سعيد يكثر من المباشرة في طرح آرائه، ويستخدم أساليب النداء والاستفهام المباشرين. قال: "وماذا أفعل؟ ... ماذا أفعل إذن؟ هل تسمعون جيداً؟ ... حتى أنتم يا أصدقاء لا شيء عندكم؟؟؟ حتى أنتم؟؟؟ ... من ماذا؟ من ماذا؟"[54].

---

[47] المصدر نفسه، ص70.

[48] محمد علي سعيد، الشيخ مبروك: أحمد ومردخاي، ص23.

[49] محمد علي سعيد، الجنازة: أحمد ومردخاي، ص107.

[50] محمد علي سعيد، الشارع: في انتظار القرار، ص17.

[51] المصدر نفسه، ص20.

[52] محمد علي سعيد، أنا ومدينتي والاتجاهات: القرار، ص61.

[53] محمد علي سعيد، شيء من الماضي: القرار، ص82.

[54] محمد علي سعيد، في انتظار القرار: في انتظار القرار، ص26. وانظر ص27-35.

وقوله: "ونحن أيها السادة - سكان الحارة - نُمطرُ بعضنا البعض"[55] وقوله: "عفواً أيها السادة الكرام"[56] وقوله: فأنا - كما ترى عزيزي القارئ - أكره أَنْ أبوح بأسرارِ القريةِ"[57].

5- كتب محمد علي سعيد قصصه لكل أبناء المجتمع الفلسطيني بكل فئاتهم، كتبها للعامة وللخاصة على حدّ سواء، وللمثقف ولغير المثقف. ولذلك فإن القارئ يجد أن القاص كان يأخذ معانيه من الواقع المعيش للمجتمع الفلسطيني، ويعيد تشكيلها وصياغتها من جديد، وبأسلوب ممتع ومشوّق يجعل القرّاء يقبلون عليه.

[55] محمد علي سعيد، الشارع: أحمد ومردخاي، ص91.

[56] المصدر نفسه، ص92. وانظر ص94، 100، 102.

[57] محمد علي سعيد، الجنازة: أحمد ومردخاي، ص103. وانظر ص106.

ببليوغرافيا

1- محمد علي سعيد،

أ- **أحمد ومردخاي**، مجموعة قصصية، شفا عمرو: منشورات مجلة مواقف (5)، مؤسسة المواكب، 1997م.

ب- **في انتظار القرار**، مجموعة قصصية، ط1، شفا عمرو: إصدار مجلة الشرق، 1984م.

2- مجلة الشرق، العدد الرابع، المجلد31، تشرين أول-كانون الأول، 2001م، محمد علي سعيد، عدد خاص بمناسبة يوبيله الذهبي، وحصوله على جائزة الإبداع لعام 2001م، شفا عمرو.

3- **مجلة الشرق**، العدد الثالث، المجلد 41، تموز-أيلول، 2011، عدد تكريمي توثيقي خاص بالكاتب محمد علي سعيد بمناسبة بلوغه الستين، شفا عمرو.

مراجع عامة أخرى عن الأديب محمد علي سعيد:

- شاهين، أحمد عمر. **موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين**، جزءان. ط2. فلسطين، غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق، 2000.
- بولس، حبيب. **القصة العربية الفلسطينية القصيرة في إسرائيل 1948- 1998 (انطولوجيا)**. جزءان، ط2. سخنين: الكلية الأكاديمية مركز الجليل، 1999.
- فرهود، كمال قاسم. (جمع وإعداد). **موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**. جزءان. ط3. حيفا: مكتبة كل شيء، 1998، ص1276.
- فراج، سلمان. **الإنهاء والإغلاق في قصص محمد علي سعيد**. دراسة أكاديمية ضمن متطلبات درجة الماجستير. جامعة حيفا، 2001.
- فرنسيس، فهيم. مراجعة في كتاب "في انتظار القرار" لمحمد علي سعيد. **مجلة المواكب**، عدد 7و8، 1985.
- طه، إبراهيم. محمد علي سعيد الإنسان الأديب. **صحيفة الاتحاد**، المقال الثقافي- 21-12-2001
- Assadi, Jamal & Hamad, Mohammad. (2010). A Passive Companion or an Active Partner? Post/colonialism in selected short stories by: Mohammad Ali Saeid. A*L-MAJMA. Studies in Arabic Language Literature and Thought*. 2010 pp: 27- 50.